من ضمن روايات أهل البيت عليهم السلام، قال الإمام الباقر عليه السلام لأحدهم

(ليس شيء ابعد من عقول الرجال من تفسير القرآن ان الآية لتكون اولها في شيء وآخرها في شيء وهو كلام متصل ينصرف على وجوه)[1]، لاحظ ونزل القرآن على اربعة اقسام (على العبارة والإشارة واللطائف والحقائق) فالعبارة للعوام والإشارة للخواص – العلماء– والطائف للأوصياء والحقائق للأنبياء،

قسم أمير المؤمنين عليه السلام طبقات كلام الله إلى اقسام ثلاثة:

١– قسم تعرفه العرب بألسنتها .

٢– قسم لا يعرفه الا من لطف حسه ودق تمييزه وشرح صدره للإسلام .

٣– قسم لا يعلمه إلا الراسخون في العلم وهم محمد وآل محمد صلى الله عليه وآله .

لذا فإن هذا القرآن ليس سهلا ولا في متناول اللغوي واللساني لماذا؟

وذلك لان معاني القرآن هي مرتبطة بمراد الله الجدي، ومراده لا يوصل اليه بقواميس وصحاح لغوية ولا يعرف مراد الله الا بمن كان مرتبطاً بالله عن طريق الوحي ولا يوجد عندنا من هو مرتبط بالله عن طريق الوحي الا رسول الله محمد صلى الله عليه وآله .

الآن اضرب لكم مثالاً لو ان شاعراً اديباً نظم قصيدة وبعد مدة قام اثنان من الأدباء بشرحها وهناك شرح ثالث لصاحب القصيدة فأي الشروحات أقرب؟

اكيد أن صاحب القصيد هو من يصيب المعنى ، لماذا؟

لأنه ادرى بمراده، كذلك القرآن هو كلام الله فمن الذي يعرف مراد الله قطعاً رب العالمين يعرف مراده ، و كيف لنا أن نصل إلى مراد الله؟ لا نستطيع الا بالوسائط وهم الذين اصطفاهم واختارهم واجتباهم لأنهم معصومون، لانهم علماء، لأنهم مرتبطون بالسماء فينزل القرآن الكريم عن طريق الوحي وتنزل معانيه معه وسنوضح هذا المطلب عندما ندرس تأريخ القرآن.

تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وآله كان عندما تنزل الآية فوراً يدون تفسيرها معها ولهذا

(١) تفسير القمي مقدمة ١/ ٢٠

الإمام الصادق عليه السلام يقول عن رسول الله صلى الله عليه وآله (لو أن الناس قرءوا القرآن كما أنزل ما اختلف اثنان)[١] مشكلة الأمة الإسلامية اليوم هو فهم الدين و الدين الإسلامي اليوم مفهوم بنسخ متعددة فأي النسخ هي اقرب لمراد الله ، الإسلام بنسخته الشيعية أو الاسلام بنسخته الوهابية أم الاسلام بنسخته الكذائية ، فأي فهم أقرب لمراد الله في خضم هذه العقول المتفاوتة والفرق المتعددة والاحزاب الاسلامية المتفرقة ؟

فلابد ان نتحرى عن المنهج الذي ورد عن النبي وأوصياءه ، هي التي يطمئن إليها، وأوصياء نبينا هم فقط أهل بيته سلام الله عليهم الذين وصفهم الله ورسوله وأهل البيت بانهم أهل بيت النبوة وموضع الرسالة ومختلف الملائكة مهبط الوحي والتنزيل لاحظ هذه كلها عناوين قرآنية وكذلك إن آل محمد عليهم السلام لا يقتصر علمهم على علم القرآن فحسب أبداً يعقد الكليني رحمه الله في كتابه(الكافي الشريف – أصول الكافي) باباً يسميه باب إن آل محمد عليهم السلام ورثوا جميع علوم الأنبياء السابقين وورثوا جدهم محمد صلى الله عليه وآله، يُسأل الإمام الصادق عليه السلام ليُجيب قال (ان داود ورث النبيين و زاده اللّه و ان سليمان ورث داود و زاده اللّه و ان محمدا ورث سليمان و داود و زاده اللّه و انا ورثنا النبى و زادنا اللّه)[٢] لهذا أمير المؤمنين عليه السلام بضرس قاطع يقول (أَمَا وَاللَّهِ لَوْ ثُنِيَتْ لِيَ الْوِسَادَةُ فَجَلَسْتُ عَلَيْهَا لَأَفْتَيْتُ أَهْلَ التَّوْرَاةِ بِتَوْرَاتِهِمْ حَتَّى تَنْطِقَ التَّوْرَاةُ فَتَقُولَ صَدَقَ عَلِيٌّ مَا كَذَبَ لَقَدْ أَفْتَاكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيَّ وَأَفْتَيْتُ أَهْلَ الْإِنْجِيلِ بِإِنْجِيلِهِمْ حَتَّى يَنْطِقَ الْإِنْجِيلُ فَيَقُولَ صَدَقَ عَلِيٌّ مَاكَذَبَ لَقَدْ أَفْتَاكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيَّ وَأَفْتَيْتُ أَهْلَ الْقُرْآنِ بِقُرْآنِهِمْ حَتَّى يَنْطِقَ الْقُرْآنُ فَيَقُولَ صَدَقَ عَلِيٌّ مَا كَذَبَ لَقَدْ أَفْتَاكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيَّ)[٣] .

من أين لك هذه العلوم يا علي فهو القائل وبعض الصحابة ينقلون هذا النص المشهور المستفيض الذي بلغ حد التواتر المعنوي عندنا(أَنَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ وَ عَلِيٌّ بَابُهَا فَمَنْ أَرَادَ الْعِلْمَ فَلْيَأْتِ الْبَاب)[٤]وهو القائل عليه السلام(عَلَّمَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ أَلْفَ بَابٍ مِنَ الْعِلْمِ، يَفْتَحُ كُلُّ بَابٍ أَلْفَ بَاب)[٥] فهذا باب مدينة علم رسول الله صلى الله عليه وآله، هذا الذي وصفَ بأوصاف قرآنية وكانت الصحابة تتبارى في بيان معاني علي القرآنية.

---

(١) الوافي ٩ / ١٧٨٠

(٢) الاصول الستة عشر ٧٥ .

(٣) التوحيد (للصدوق) ٣٠٥.

(٤) صحيفة الامام الرضا ٨ ٥٨.

(٥) كتاب سليم بن قيس الهلالي ٢/ ٩١٢.

جلس عبد الله بن عباس رضي الله عنه يوما فقال يا صحابة رسول اللهﷺ أيكم يحفظ اسماء علي عليه السلام فقال أحدهم لقد سماه الله في كتابه بأنه أُذنٌ وذاك في قوله تعالى ﴿وَتَعِيَها أُذُنٌ واعِيَة﴾الحاقة ٢١ فهو الأُذن ، وقال آخر لقد سماه الله المؤذن فهو القائل ﴿فأذن مؤذن بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ الله عَلَى الظّالِمِينَ﴾الاعراف /٤٤ ،فقال عبد الله بن عباس اني احفظ اسماً لا تعرفونه قالوا ما هو يا ابن عباس قال لقد سماه الله نهراً اذ قال﴿إِنَّ اللهَ مُبْتَليكُمْ بِنَهَرٍ﴾ البقرة / ٢٤٩

فأمير المؤمنين عليه السلام قرآن ناطق يتحرك، قرآن حي يتجسد، قرآن حيوي يتفاعل مع الأحداث ويعطيك النتائج والأحكام الإلهية القرآنية هذا هو علي بن ابي طالب عليه السلام أيُدار له الظهر ولا يؤخذ منه العلم هذا عليٌ الذي فتق علوم الدين بأسرها، والعلوم الخادمة للدين كعلم النحو عندما سمع لحناً في قول أحدهم يقرأ (إن الله بريء من المشركين ورَسُولِه) قال معاذ الله أيبرء الله من محمد مالكم، فقال إن الله بريء من المشركين ورسولَهُ وقراءة ورسولُهُ وهذا المثبت في المصحف وهي قراءة عاصم بالرفع على الابتداء﴿أَنَّ اللهَ بَريءٌ مِنَ الْمُشْرِكينَ وَ رَسُولُه﴾

واذا قُرأت بالنصب فإنها معطوفة على اسم أنَّ، اما قراءة ورسولِهِ فهي كفر وكذا الذي يقرأ الآية ﴿إِنَّما يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ﴾ فاطر ٢٨ وهذه القراءة الصحيحة لكن من يقرأها (إنما يخشى اللهُ من عباده العلماء) فصار العكس ان الله يخشى العلماء والمفروض ان العلماء يخشون من الله وهذه قراءة كفر فلما سمع هذا اللحن قال يا أبا الأسود كلام العرب يقسم إلى ثلاثة أقسام اسمٌ وفعلٌ وحرف، ثم أعطاه الأمر فقال له يا ابأ الأسود أنحُ هذا النحو فَسُميَّ علمُ النحو.

إذاً ونحن في ختام هذه المحاضرة نبين لكم أن العلم كل العلم عند أهل بيت الوحي وترجمان القرآن والقرآن الناطق وهم محمد وآل محمد الوصاة الذين أوصى بهم رسول اللهﷺ وان العلم كل العلم بحقائقه موجودة عندهم وهم أبواب مدينة علم رسول اللهﷺ وهم الذين علموا الصحابة والتابعين وتابعي التابعين في كل جيل علوم الإسلام بأسره، و فقهاء المذاهب الأربعة تتلمذوا على يد جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام و المفسرون بمدارسهم تتلمذوا على يد علي ابن أبي طالب عليه السلام فالكل ينهل من منهل آل محمد وهم اهل البيت وعِدل القرآن الكريم فلذا سوف نقتصر في هذه المادة (علوم القرآن) على علوم محمد و آل محمد عليهم السلام أسأل الله أن يوفقنا وإياكم جميعاً لكل خير ببركة محمد وآل محمدﷺ .